عن طاغور

« قوس النصر »

ترجمة : الاستاذ محمد سرارة

جاءت الأخبار من المعركة رديئة ، وكان الملك يتمشى في الحديقة والقلق يغمر وجهه والتفت إلى الحديقة فرأى بقرب الجدران ولداً وبنتاً يلعبان في ظلال الشجرة ويقولان : سنمثل في هذا اليوم منفى الأمير راما والأميرة (ستا) بعد أن سألهما الملك : ماذا تسميان هذه اللعبة ؟!

ثم جلس الملك وأخذ يراقبهما ، وقال الولد : (هل تنظرين الغابة العظمى ؟! سنبني كوخاً هنا » .. ثم جمع كومة من القشر والأغصان ... كانت البنت تطبخ عروق الأشجار وأوراقها بدون أن تشعل ناراً ثم اشتغلت الأميرة (ستا) في اعداد الطعام لزوجها المنفي الأمير راما فقال الملك : كل شيء منظم ، ولكن أين العفريت الذي حارب راما ، وشعر الولد أنه أهمل هذه النقطة فأخذته الحيرة ، ولكن الملك رفع هذه الحيرة بقوله « طيب » سأكون أنا العفريت ..!

تطلع الولد إليه بانتباه وقال : (لكن هل ترضي أنت أن تنهزم على يدي ؟!) . فقال الملك : نعم . أنا مستعد للهزيمة . وسترى ذلك بنفسك . وانقضت اللعبة في ذلك اليوم وربحها الولد ربحاً لطيفاً ورضي الملك أن يموت ميتة عشر عفاريت ليتم تمثيل الأسطورة .!

غنت الطيور كما كانت تغني في العصور الماضية ، وكأن الأمير والأميرة قد بعثا من جديد وأحيا مرة أخرى ، والشمس قد ضربت أوراق الأشجار كما كانت تفعل في العصور الغابرة ، وعادت الملك طمأنينة الفكر بعد القلق ثم طاب وزيره وسأله : أتعرف هؤلاء الأطفال فقال الوزير : نعم : « البنت بنتي روشيرا والولد كوسيكا ابن كاهن فقير » فقال الملك : (أحب أن يتزوج الولد البنت إذا كبرا .. » لم يتجاسر الوالد أن يرد ، ولكنه أخفى رأسه متهكما ، وأرسل الملك كوسيكا إلى أحسن مدرسة في مملكته ، وهي مدرسة تجمع ذوي النسب العالي من البنين والبنات ، وكانت روشيرا ابنة الوزير بينهم .. استاء المعلم من كوسيكا ابن الكاهن الفقير ، وأنف أن يكون في مدرسته ، والتلاميذ لم يكونوا أقل استياء من استاذهم ، ولكن إرادة الملك يجب أن تسود .

فصار بياضه عندي سواداً وكان سواده عندي بياضا

* * *

الان جلاني الوقار رداءه وانجاب عن عيني ذاك الغيطل
ونزعت وجداً كان يشمخ كلما أغرى الملام به وبخ العذل

* * *

ياعذولي قد غضضت جماحي فاذهبا حيث شئتما بزمامي
بعدلوني عمامة الشيب اختا ل ببردي بطالة وعرام
خفضت نزوة الشباب وحال الهم بين الحشا وبين الغرام
فالشيب اذن خليق ان يحمل صاحبه على التزمت والتوقر والزهد في لذات الشباب ونزواته وعرامه .
من قضى عقبة الثلاثين يغدو راجعاً يطلب الصبا هيهاتا
لم تزل والمشيب غير قريب ناعياً للشباب حتى ماتا

ولا مطمع للزمان او للعدو فيمن أضاء المشيب فوديه
أفالآن لما أضاء المشيب وامسى الصبا ثانياً من عنابي
وقد صقل السيف بعد الصدا وبان لظى النار بعد الدخان
يرد الزمان علي الهوى ويطمع في هفوة من جناني
فقل للي الا فأقصري كفاني ما عند قلبي كفاني

* * *

أألآن لما اعتم بالشيب مفرقي وجلى الدجا عن لمتي لمعانها
ونجذ من صرف الزمان ووقرت على الحلم نفسي وانقضى نزوانها
تروم العدا ان تستلان جميتي وقبلهم اعدى علي حرانها

* * *

(يتبع) عز الدين آل ياسين

وقعت روشيرا في مشكلة ، فالأولاد والبنات يشيرون إليها وإلى كوسيكا ، ويهمس أحدهما في أذن الآخر همسات ..! فكانت خدودها تلتهب ، وعيونها تمتلئ بدموع الغضب .. وإذا صادف ووقع كتابها التقطه كوسيكا وقدمه لها ، ولكنها لا تعتني به ، وإذا كلمها لا تجيبه ..! ولم تكن هناك نهاية لشدة تأثير المعلم على روشيرا ، وقد فرض على نفسه أن يعني بها عناية زائدة حتى تسبق كوسيكا وتتقدم عليه في جميع الفروع العلمية ، وأخذت روشيرا على نفسها نفس العهد .. وظهر أنها تتقدم عليه ، وأن كوسيكا لا يأبه بالكتب المدرسية ، وكل هوايته الغناء ، والسياحة في الغابات الأمر الذي أدى إلى توبيخه ، وقال له المعلم مرة لما ذا لا تكون أكثر انتباهاً وميلا إلى كتبك فقال له : لذتي لا تتصل بالكتب وحدها بل تمتد إلى أشياء أخرى كثيرة .! ونصحه المعلم قائلا : الأحسن لك أن تتخلص من هذه اللذائذ التي لا ضرورة لها

وبعد أيام سأل الملك المعلم عن أحسن تلاميذه وتلميذاته فقال له « روشيرا »

— وكيف كوسيكا

— لا أظن أنه يستفيد من المدرسة

— أرغب أن يتزوج أحدهما الآخر ... ولم يستطع المعلم أن يخمد ضحكة ساخرة على هذه الرغبة ثم قال . سيكون هذا الزواج زواج المساء بالفجر .! ولكن الملك أصدر أمره إلى وزيره قائلا :

« يجب أن لا يتأخر زواج ابنتك بكوسيكا » فقال الوزير : ولكن ابنتي تعترض على هذا الزواج « ياسيدي » فقال الملك : ولكن هل تتكلم المرأة دائماً عن رغبتها الحقيقية ؟!

الوزير : ولكن دموعها كافية .

الملك : أتظن أن كوسيكا لا يليق أن يكون زوجاً لها

الوزير : تلك هي الحقيقة

الملك : دعهما يتجادلان أمامي

وازدحم بلاط الملك ، وقد جلس الملك بدوره على العرش وجلس كوسيكا بقرب قدميه . ثم دخل المعلم ومعه روشيرا ابنة الوزير ، فنهض كوسيكا وحياهما ، ولكن الفتاة لم تنظر اليه إلا بعد هشمة .

امتنع كوسيكا عن الحوار ، وهزته روح الكبرياء العنيف في مبدأ الأمر .. حتى إذا حان الوقت برق شعاع التهكم والاستهزاء في حوائه كما تلمع نقطة الضوء على الفولاذ حتى اندهش المعلم .. وانتشرت حبات العرق على حواجب روشيرا الجميلة ، وضاع صواب الفتاة وأخذت تتدحرج إلى حافة الهزيمة .

كان صوت المعلم يرتجف من الغضب وهو يرى الدموع تملأ عيني روشيرا . وعندئذ طلب الملك أن يتم الزواج ، ولكن الوزير رفض ذلك ثم نهض كوسيكا وقال بتواضع موجها خطابه للملك

— عذراً — ياسيدي — أنا لا أريد هذا الزواج ؛ فتحير الملك وقال له : أترفض قوس النصر ؟! وأجاب كوسيكا : النصر لي ، ولكني أدع الجزاء لغيري ؟! واقترح المعلم أن يترك الآن هذا الأمر وبعد مضي سنة يعقد مجلس آخر وقبل الاقتراح .

ترك كوسيكا المدرسة ، وكان يراه الناس في بعض الاحيان يتجول في الغابات أو على رؤوس الربوات ... وأوقف المعلم كل نشاطه على تدريب روشيرا ، ولكن فكرها كان تائهاً فما ذا حدث لها ؟!

فضاق صدر المعلم وقال لها « إذا لم تنتبهي للدرس فسيلحقك العار » ولكن يلوح أن الفتاة كانت راغبة في هذا « العار » الذي يهددها به المعلم ، وكأنما نذرت نذراً أن تهجر كتبها .!

انفجر المعلم من الغضب وقال : « بجميع القديسين سأرفض كل امرأة في عداد التلاميذ بعد اليوم ، لقد عرفت غوامض الطلاسم في « الفدا » وبقية الكتب المقدسة (١) ولكني جهلتها فيك يا قلب المرأة »

وفي يوم ما قال الوزير للملك : لقد خطبت روشيرا

(١) هي الكتب المقدسة عند الهنود ، ويستغرب هذا الرأي في المرأة من الفيلسوف ، والمعروف عنه خلاف ذلك